

الدلالات النفسية والدلالات التربوية المتجاوزة للزمن في الخطاب القرآني

آيات بر الوالدين أنموذجا

د/ سهيلة مساعد

جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة الجزائر

souhilamessaad73@gmail.com

استلم: 2026-07-20، مقبول: 2026-07-21، نشر: 2026-07-29

The Timeless Psychological and Educational Dimensions of Qur'anic Discourse The Verses on Filial Piety as a Case Study

ABSTRACT: *Filial piety is one of the fundamental themes to which the Holy Qur'an gives special attention. Its discourse extends beyond defining the legal obligations owed to parents to establish a comprehensive ethical and affective framework that guides human conduct and fosters awareness of their dignity and status. This study aims to explore the psychological and educational dimensions embedded in the Qur'anic verses on filial piety and to examine the impact of the syntactic structure of Qur'anic discourse on shaping the recipient's perception. The study adopts a descriptive-analytical approach by examining selected Qur'anic verses on filial piety in the light of classical Qur'anic exegesis as well as linguistic and semantic studies. It further analyzes how lexical choices and syntactic relations generate meanings that transcend the text's explicit sense. The findings reveal that the linguistic and rhetorical structure of these verses plays a pivotal role in promoting ethical and educational values, while conveying suggestive meanings that enhance the Qur'anic discourse's enduring ability to influence and guide people across different times and contexts, thereby affirming the universality of its message and the richness of its semantic dimensions.*

KEYWORDS: *Filial piety, Quranic discourse, connotations*

الملخص: يُعدُّ برُّ الوالدين من القضايا الأساسية التي أولى لها القرآن الكريم عنايةً خاصة، إذ لم يقتصر خطابه على بيان الحكم الشرعي المتعلق بحقوق الوالدين، بل أسس منظومةً أخلاقيةً وحسيةً متكاملة تُوجِّه السلوك الإنساني وتُنمِّي الوعي بقيمتيهما ومكانتهما. ويهدف هذا البحث إلى استنباط الدلالات النفسية والتربوية الكامنة في آيات برِّ الوالدين، والكشف عن أثر البنية التركيبية للخطاب القرآني في توجيه المتلقي. واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال دراسة نماذج من آيات البر بالوالدين في ضوء كتب التفسير والدراسات اللغوية والدلالية، مع تحليل أثر الألفاظ والعلاقات النحوية في إنتاج معاني تتجاوز الدلالة المباشرة للنص. وقد خلص البحث إلى أن البنية اللغوية والبلاغية لآيات برِّ الوالدين تؤدي دورًا محوريًا في بناء القيم الأخلاقية والتربوية، وتكشف عن طاقة إيحائية تجعل الخطاب القرآني صالحًا للتأثير والتوجيه في مختلف الأزمنة والبيئات، بما يؤكد عالمية رسالته وثراء دلالاته.

الكلمات المفتاحية: بر الوالدين، الخطاب القرآني، الدلالات.

مقدّمة

بسم الله الرَّحمان الرَّحيم و الحمد لله ربّ العالمين و الصَّلَاة و السَّلَام على المبعوث رحمة للعالمين . أمّا بعد ؛

فإنّ الخطاب القرآنيّ يتميّز بشموليته و ثرائه الدَّلاليّ، إذ لا يقتصر على بيان الأحكام و التّكاليف فحسب ، بل يسعى إلى بناء الإنسان بناءً متكاملًا، و يخاطب عقله بالحجّة و البرهان، و يوقظ وجدانه بما يثير الرّحمة و المحبة و الخشية، فيستثمر إدراكه الحسيّ في ترسيخ المعاني الإيمانية، ثمّ يوجّه هذه المعاني إلى سلوك عمليّ ينعكس على الفرد و الأسرة و المجتمع. و من ثمّ فإنّ دلالات القرآن الكريم تتكامل لتؤدّي وظيفة الهداية و الإصلاح وفق نسق محكم يراعي طبيعة الإنسان و مقاصد الشريعة .

و من أبرز النّماذج القرآنية التي تجسّد هذا التّكامل آيات برّ الوالدين ؛ إذ جمعت بين التّعليل العقليّ و التّصوير الحسيّ و التّأثير الوجدانيّ و التّوجيه التّربويّ، فجاء خطابها مؤسسًا لعلاقة تقوم على الرّحمة و الإحسان و الوفاء بالجميل، بما يحقّق بناء الشّخصية المتوازنة، و يحفظ تماسك الأسرة، و يعزّز القيم الإنسانية التي دعا إليها القرآن الكريم.

و يحاول هذا البحث استنباط الدَّلالات النَّفسية و التّربوية في آيات برّ الوالدين، و الكشف عن أسسها ، و بيان العلاقات التّكاملية المترابطة بينها، و التي أسهمت في استمرارية أثر الخطاب القرآنيّ و صلاحيته لهداية الإنسان في مختلف الأزمنة و البيئات .

و تلزم هذه المحاولة بناء إشكالية البحث على النّحو الآتي ؛ ما أهم الدَّلالات التي يمكن استنباطها من خلال تركيب آيات برّ الوالدين ، و كيف يسهم تكامل الدَّلالات المستنبطة في تحقيق مقاصد الخطاب القرآنيّ لبناء الإنسان و الأسرة و المجتمع؟

و تفرض هذه الإشكالية اعتماد البحث المنهج الوصفيّ في بيان طريقة تركيب بعض الآيات، و المنهج التّحليليّ في استنباط دلالاتها، مع الإفادة من المنهج المقاصديّ في بيان العلاقات التّكاملية بين هذه الدَّلالات و أثرها في تحقيق مقاصد القرآن الكريم .

و اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين تسبقهما مقدّمة و تليهما خاتمة . خُصّص المبحث الأول للدَّلالات النَّفسية في آيات برّ الوالدين، فتناول الدّلالة العقلية، و الدّلالة الحسيّة،

والدلالة الوجدانية، ثم خُتم بمطلب يبرز تكامل هذه الدلالات وأثرها في بناء النفس الإنسانية. أمّا المبحث الثاني، فقد عالج الدلالات التربوية، من خلال الدلالة التربوية الفردية، والاجتماعية، والإنسانية، ثم خُتم بمطلب يبيّن تكاملها في بناء الفرد والمجتمع وتحقيق المقصد القرآني.

المبحث الأول: الدلالات النفسية في الخطاب القرآني من خلال آيات برّ الوالدين

تُعَدّ الدلالة النفسية في القرآن الكريم من أبرز مظاهر إعجازه اللغويّ و البيانيّ؛ إذ يختار الخطاب القرآني ألفاظه وتراكيبه لنقل الأحكام التشريعية بدقّة حيث تتجاوز تلك الأحكام الأوامر والنواهي إلى التأثير في المشاعر الإنسانية و الانفعالات الوجدانية؛ فهذه الدلالة عبارة عن معان و إحياءات تثيرها الألفاظ والتراكيب في نفس المتلقي (عمر، 1998 م)، فتتجاوز المعنى المعجمي المباشر. وتبحث في العلاقة بين اللغة والحياة النفسية للإنسان؛ ما يجعل المؤمن يرضخ إلى تلك الأحكام بمحض إرادته و يبني شخصيته بناءً متكاملًا يجمع بين العقيدة والأخلاق والسلوك.

و تنقسم الدلالة النفسية إلى عقلية، حسّية، وجدانية.

المطلب الأول: الدلالة العقلية مفهومها وأسسها

1 - مفهوم الدلالة العقلية

هي الدلالة التي يتوقف إدراكها وفهمها باستنباط علاقة منطقية و ذاتية بين الدال والمدلول بإعمال العقل؛ لقدرته على ذلك باستخدام الإدراك و التحليل؛ و الوصول إلى استلزام تحقق الدال و تحقق المدلول، كدلالة الدخان على النار. (التهانوي، 2004) فهي بهذه العلاقة تسعى إلى بيان دلالة لفظة معيّنة من خلال التفاعل الذي تحكمه قواعد النحو والصورة الذهنية التي يحكمها النظام العقلي.

2 - أسس الدلالة العقلية في آيات برّ الوالدين

• 1-2 أسس التعليل

يقوم الخطاب القرآني عادة على ربط الحكم بعلمته؛ فالأمر ببرّ الوالدين لم يأت مجردًا، بل علّله بما قدّمه من تربية ورعاية، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24].

[24]. الكاف في ﴿كما﴾ تفيد التعليل عند كثير من المفسرين، فينتقل العقل من تذكّر إحسان الوالدين إلى استنتاج وجوب الإحسان إليهما .(عاشور، 1984)

• 2-2 أساس الاعتراف بالفضل

يُقنع القرآن العقل بوجوب البرّ من خلال تعداد أوجه فضل الوالدين، ولا سيما الأمّ، قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: 14] ، فذكر مراحل الحمل والرضاع يمثل مقدّمات عقلية تؤدي إلى النتيجة الحتمية: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: 14] . (الرازي، مفاتيح الغيب، 1981 م)

• 3-2 أساس ترتيب الأولويات والموازنة بين الحقوق

يبدأ القرآن بربط برّ الوالدين بأعظم أصل عقديّ، وهو توحيد الله تعالى ، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23] . فاقتران برّ الوالدين بتوحيد الله يدلّ عقلاً على عِظَم منزلتهما، وأنّ حقّهما يلي حقّ الله تعالى مباشرة (الرازي، 1981 م).

كما يقرّر أنّ هذه الطّاعة ليست مطلقة، بل مقيّدة بطاعة الله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُكُمْ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 15] ، فلا يفضي برّ الوالدين إلى معصية الله، ومع ذلك يبقى الإحسان إليهما واجباً. (الرازي، 1981 م)

• 4-2 أساس مراعاة الحال

قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: 23] . إنّ ذكر مرحلة الكبر هاهنا ليس مجرد وصف، بل تعليل عقليّ يبيّن أنّ كلما ازداد الضّعف والحاجة اقتضى ازدياد البرّ والرّعاية .

المطلب الثاني : الدَّلالة الحسيّة مفهومها وأسسها

1 - مفهوم الدَّلالة الحسيّة

الدَّلالة الحسيّة هي الدَّلالة التي يُدرك مدلولها عن طريق الحواس، أو التي تُجسّد المعنى المجرد في صورة حسيّة أو مشهد مرئيّ أو مسموع أو ملموس، بما يُقرّب المعنى إلى ذهن المتلقي ويقوّي أثره . و قد أوتي الإنسان قوة حسيّة يدرك بها الأمور و ترسل إشارات للعقل و القلب للتحليل و التّمييز . (الدّاية، 1996 م) و يرسل القرآن المشاهد والمدلولات والعبارات في موجات متلاحقة و في سياقات مختلفة ، تجعل الحسّ يتابعها في بهر و تدبّر . (قطب، 2003 م)

2- أسس الدَّلالة الحسيّة في آيات برّ الوالدين

1-2 أساس التّصوّر الحسيّ

يصوّر الخطاب القرآني المشاهد تصوّراً محسوساً، يجعل السّامع كأنّه يراها بعينه (متو، 1998 م)، قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان: 14] . فعبارة ﴿وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ تنقل إلى الحسّ صورة الضّعف المتزايد الذي تعانيه الأمّ أثناء الحمل، و إضافة ﴿عَلَى وَهْنٍ﴾ تجعل المخاطب يستحضر مقدار المعاناة و المشقة . (الطرطوشي، 2019 م)

2-2 أساس استحضار الخبرة الإنسانية

قال تعالى: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: 14] . فالآية تستحضر مرحلة الرضاع والفظام، وهي خبرة حسيّة عاشها كلّ إنسان، ممّا يجعل المعنى قريباً من الإدراك المباشر، ويقوّي أثره في النّفس.

3-2 أساس التّعبير بالصّوت والحركة

قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: 23] . فلفظة ﴿أُفٍّ﴾ تمثّل صوتاً محسوساً يصدر عند التّضجّر، فهي القرآن عن أدنى صورة حسيّة للإساءة، قبل النّهي عن الضّرب أو الإيذاء. و أمر بعدها بحركة بصريّة محسوسة تجسّد معاني التّواضع و اللّين في قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24] .

4-2 أساس مراعاة التّغير الحسّي المرتبط بالعمر

تستحضر الآية: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾ [الإسراء: 23] حالة الكبر بما يصاحبها من ضعف الجسد والحواس، وهو أمر يدركه الإنسان بالمشاهدة، فيكون باعثاً على الرحمة والإحسان.

المطلب الثالث : الدلالة الوجدانية مفهومها وأسسها

1 - مفهوم الدلالة الوجدانية

الدلالة الوجدانية هي ما تحمله الألفاظ والتراكيب من إحياءات ومشاعر وانفعالات تتجاوز معناها المعجمي، فتثير في المتلقي أحاسيس كالمحبة والرحمة والخوف والرجاء والشفقة . و الإنسان يملك قوة تمكّنه من تسجيل هذه الأحاسيس و تدعّمه قوة البيان في استشعار المتعة الوجدانية . (دراز، 2018 م)

2 - أسس الدلالة الوجدانية في آيات بر الوالدين

2-1 إثارة عاطفة الرحمة الدائمة

قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23] ؛ لقد أوتي بالمصدر "إحسانا" وعدل به عن الفعل للدلالة على ثبات الإحسان ودوامه، فلا يمكنك أن تحسن لوالديك يوماً دون آخر؛ لأنّ الإحسان أن تعطي أكثر ممّا عليك وتأخذ أقلّ ممّا لك . (الأصفهاني، 2009 م)

وفي قوله تعالى: ﴿وَخُفِضَ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24] . جعل القرآن الرحمة منطلقاً للتّعامل مع الوالدين، فلا يكتفي بالفعل الظاهر، بل يربطه بالشّعور القلبي الصّادق، فتنبع المعاملة الحسنة من وجدان حيّ .

2-2 إثارة الشّعور بالامتنان

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24] .

إنّ ذكر مرحلة الصّغر بعد الأمر بخفض جناح الذلّ يربط الحاضر بالماضي؛ فكّلما رأى الابن ضعف والديه في الكبر تذكّر ضعفه هو في الصّغر، وكأنّ الآية تقيم موازنة نفسية بين

ضعف البداية وضعف النهاية، لتولّد في النفس شعور بالاعتراف و الوفاء حين ينعدم الحول و القوة .

3-2 استحضار معاناة الأمّ

قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان: 14] .

إنّ تصوير مشقة الحمل والرّضاع لا يقتصر على بيان حقيقة واقعة، بل يثير التّعاطف والشفقة، ويغرس في النفس تقدير تضحيات الأمّ .

4-2 تهذيب الانفعال والسلوك

قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ﴾ [الإسراء: 23] .

ينهى القرآن عن أدنى لفظ يدلّ على الضّجر، و يرّبّي النفس على كبح الانفعالات السّلبية، وصيانة مشاعر الوالدين من كلّ ما يؤذيها ؛ فلفظة " أف " على خمسة أقوال يجمعها معنى الوسخ ؛ لهذا يوجب عليها ضبط السلوك بتليين الخطاب و اختيار الألفاظ (الجوزي، 1993 م)، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23] ، و جاء الوصف بـ "كريمًا" دون غيره من الأوصاف ، معبراً به عن معاني الشّرف والرّفعة و العطاء ، تفيض احتراماً وتوقيراً وإجلالاً .

المطلب الرابع : تكامل الدّلالات النفسيّة وأثره في استمرارية الخطاب القرآنيّ

1- التّكامل بين الدّلالات النفسيّة لبناء الشّخصيّة الفرديّة

يتجلّى التّكامل الدّلالي في آيات برّ الوالدين من خلال تضافر الدّلالة العقليّة والحسيّة والوجدانية في بناء شخصيّة المؤمن وتوجيه سلوكه (زهران، 2005 م)؛ فالدّلالة العقليّة تقيم الحجّة وتقنع العقل بوجوب برّ الوالدين، من خلال التّعليل بفضلهما واستحضار تضحياتهما. ثمّ تأتي الدّلالة الحسيّة فتجسد هذه المعاني في صور ومشاهد محسوسة، مثل مشقة الحمل والرّضاع، وبلوغ الوالدين مرحلة الكبر، والنّهي عن أدنى مظاهر التّضجّر بلفظ «أف»، فتقرّب المعنى إلى الإدراك. أمّا الدّلالة الوجدانية فتتجاوز الإقناع والتّصوير إلى تحريك المشاعر، فتوقظ في النفس الرّحمة والامتنان والتّواضع والمحبة، كما في قوله تعالى: ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾. وبذلك تتكامل هذه الدّلالات لتؤثّر في

العقل والحسّ والوجدان معاً، فيتحوّل الخطاب القرآنيّ من مجرد توجيه نظريّ إلى منهج نفسيّ متكامل، يرسّخ قيمة برّ الوالدين في الفكر و الحسّ والشّعور.

2- أثر هذا التّكامل في خلود الخطاب القرآنيّ

إنّ سرّ استمرار تأثير آيات برّ الوالدين عبر العصور يعود إلى أنّها خاطبت الإنسان في جميع أبعاده؛ فلم تكتف بإقناع العقل، ولا بإثارة العاطفة، ولا بتذكير الحسّ، وإنّما جمعت هذه الأبعاد في نسق واحد انتهى إلى بناء السلوك التربويّ. وبذلك ظلّت هذه الدلالات قادرة على توجيه الإنسان في مختلف البيئات والثقافات، لأنّها تخاطب خصائص إنسانية ثابتة لا تتغيّر بتغيّر الزّمان ولا المكان.

المبحث الثاني: الدلالات التربوية في آيات برّ الوالدين

الدلالة التربوية هي معاني النصوص القرآنية التوجيهية و التّعليميّة المستفادة من الألفاظ والتراكيب؛ و هي تسهم في بناء شخصية الإنسان وتقويم سلوكه وترسيخ القيم والمبادئ. و هذه الدلالة لا تقف عند حدود المعنى اللغويّ أو النّفسيّ، بل تتجاوزهما إلى استنباط المقاصد التربويّة التي تهدف إلى إصلاح الفرد و المجتمع و تطوّرهما .

و يمكن تقسيم الدلالات التربوية إلى ثلاث دلالات؛ فردية، اجتماعية و إنسانية.

المطلب الأوّل: الدلالة التربوية الفردية مفهومها وأسسها

1- مفهوم الدلالة التربوية الفردية

الدلالة التربوية الفردية هي ما يستفاد من الخطاب القرآني من توجيهات وقيم و أساليب تُعنى ببناء شخصية الفرد، وتهذيب سلوكه، وتنمية وعيه، وتقويم أخلاقه؛ بما يحقق صلاحه في نفسه وعلاقته برّبه و بالناس. (عاشور م، 1967 م)

2- أسس الدلالة التربويّة الفرديّة في آيات برّ الوالدين

2- 1- ترسيخ التّوحيد قبل السلوك

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23].

لقد أمر الله تعالى في هذه الآيات أمرا مقطوعا به بإفراد الله بالعبادة لأنّه هو الموجد للعباد حقيقة، والمنعم عليهم برزقه . وقرن عبادته ببرّ الوالدين لأنّهما وساطة في إنشاء الولد وساعيان في مصالحه . (الأندلسي، 1993 م) و هنا يرّي القرآن الفرد على أنّ إصلاح السلوك يبدأ بإصلاح العقيدة .

2-2 تهذيب اللسان

قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23]. فالتربية تبدأ من ضبط الكلمة؛ لأنّ صلاح اللسان أساس لصلاح السلوك . قال الزمخشري ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي قولا جميلا كما يقتضيه حسن الأدب والنزول على المروءة . (الزمخشري، 1998 م)

2-2 التربية على التّواضع والوفاء وردّ الجميل

قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24]. وهذا تعبير لا يعبر عن مجرد التّواضع بل يصف صورة من الخضوع الاختياري القائم على المحبة و ذلّ الرّحمة الذي يحدّد مقام الوالدين الرّفيع و الاعتراف بالفضل و مقابلة الإحسان بالإحسان و البرّ بهما حتى بعد مماتهما .

4-2 الاستقلال العقدي مع استمرار البرّ

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُكُمْ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 15]. يتعلّم الفرد الثّبات على الحقّ، مع المحافظة على حسن الصّحبة، فيتوازن بين العقيدة والأخلاق . و قد ثبت في الصّحّحين أنّ أسماء بنت أبي بكر استفتت رسول الله ﷺ في وصال أمّها المشركة ؛ فسمح لها بذلك . (النّووي، 2007 م)

المطلب الثاني : الدّلالة التّربوية الاجتماعية مفهومها وأسسها

1- مفهوم الدّلالة التّربوية الاجتماعية

هي المعاني و التّوجيهات المستفادة من الخطاب القرآني التي تُنظّم علاقة الفرد بغيره، وتُرسّخ قيم التّعاون والرّحمة والاحترام والتّكافل، التي تسهم في تحقيق استقرار الأسرة وتماسك المجتمع.

2- أسس الدّلالة الاجتماعية في آيات برّ الوالدين

1-2 تعظيم مكانة الأسرة

قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23].

يعظم القرآن في هذا السياق مكانة الوالدين التي تحفظ النسل و تحميه من الانحلال ، فالأسرة هي النواة الأولى لبناء مجتمع قوي و متماسك .

2-2 ترسيخ ثقافة الاحترام

قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ... وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23].

تؤسس الآية لثقافة الاحترام في الخطاب والتعامل، وهي قيمة تمتد من الأسرة إلى المجتمع كله.

3-2 ترسيخ قيم الرحمة والوفاء

قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24].

فالرحمة داخل الأسرة تنعكس على المجتمع، فتقوي روابطه وتحد من مظاهر العنف والجفاء ، أمّا الدّعاء للوالدين يعزّز الرّوابط و يرسّخ ثقافة الوفاء الذي يحافظ على استقرار الأسرة و المجتمع .

4-2 حفظ التوازن بين الحقوق

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُكُمْ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 15]. إنّ العلاقات الاجتماعية تقوم على التوازن بين أداء الحقوق والّثبات على المبادئ، فلا طاعة في المعصية مع بقاء حسن المعاملة .

المطلب الثالث : الدلالة التربوية الإنسانية مفهومها وأسسها

1- مفهوم الدلالة التربوية الإنسانية

هي المعاني و القيم و المبادئ الإنسانية المستفادة من الخطاب القرآني و التي تتجاوز حدود الزّمان والمكان والعرق، وتصلح لتوجيه الإنسان في كلّ مجتمع، بما يحقق الخير والعدل والرحمة بين الناس. (عاشور م.، أصول النظام الاجتماعي، 1967)

2- أسس الدلالة التربوية الإنسانية في آيات برّ الوالدين

1-2 عالمية برّ الوالدين

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ [لقمان: 14].

لم يخصّص القرآن الوصية بصنف معيّن من النّاس ؛ لهذا استعمل لفظ ﴿الإنسان﴾ الذي يدلّ على عموم الخطاب الموجه إلى كلّ إنسان بصرف النظر عن جنسه أو لغته أو قوميته ؛ لأنّ الهدف الأسمى للإسلام و القرآن هو الإصلاح الاجتماعي القائم على صلاح الأسرة . (عاشور م.، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، 1967 م)

2-2 عالمية الرّحمة والوفاء

قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24] . الرّحمة و الوفاء قيم إنسانية مشتركة ، و أخلاق تستحسنها الفطرة الإنسانية ، تقوم عليها العلاقات السوية في جميع المجتمعات .

3-2 عالمية كرامة الإنسان في الخطاب

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23].

فالأمر بالقول الكريم يقرّر مبدأ احترام الإنسان وصيانة كرامته، وهو مبدأ تتجاوز دلالاته نطاق الأسرة ليصبح قاعدة للتّعامل الإنساني .

4-2 عالمية التّوازن بين المبادئ والعلاقات الإنسانية

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 15].

تقرّر الآية مبدأً إنسانياً خالداً، وهو الجمع بين الثبات على المبدأ والإحسان في المعاملة، حتى مع وجود اختلاف في المعتقد ؛ فالقرآن يبني مجتمعا حرا و يحمي المبادئ التي ترسم حدود التّعامل مع النّاس و خاصّة الوالدين . (عاشور ع.، 1979 م)

المطلب الرابع : تكامل الدلالات التربوية وأثره في استمرارية الخطاب القرآني

1- التّكامل بين الدلالات التربوية لبناء شخصية الفرد

تمثّل الدّلالات التربوية الفردية والاجتماعية والإنسانية حلقات متكاملة في المنهج التربوي القرآني؛ إذ يبدأ القرآن ببناء الفرد من خلال تهذيب سلوكه وغرس القيم في نفسه، ثم ينتقل إلى تنظيم علاقاته داخل الأسرة والمجتمع، لتجعل هذه القيم نموذجاً إنسانياً عاماً، تؤيده الفطرة وتلتقي عليه الشرائع.

و تشكّل الدّلالات التربوية في آيات برّ الوالدين نسقاً متكاملاً يبدأ ببناء الإنسان من الدّاخل، ثمّ ينعكس على محيطه الاجتماعي، ليرتقي في الأخير إلى أفق إنساني شامل، فقيم البرّ والإحسان والرّحمة تؤسّس منظومة تربوية متكاملة تحفظ تماسك الأسرة، وتدعم استقرار المجتمع، وتساهم في بناء حضارة إنسانية قوامها كرامة الإنسان و احترامه .

2- أثر هذا التّكامل في خلود الخطاب القرآنيّ

إنّ سرّ استمرار تأثير آيات برّ الوالدين عبر العصور يعود إلى تربية الإنسان وفق المنهج الرّباني وربطها بالهدف الأسمى الذي خلق من أجله و هو عمارة الأرض لعبادة الله . و قد فطر الله الإنسان على الاجتماع ليقوم المجتمع الإنساني الذي يركز على الجماعة و النظام الاجتماعي الذي يربطها و الهادف إلى تحقيق أصول الشريعة الإسلامية السّامية . (مدكور، 2001 م) و من عجائب التّكوين البشري التّشارك في المعطيات الفطرية رغم الاختلاف التّكاملي ؛ فلا يمكن تصوّر طفل يكبر دون أحضان يلجأ إليها كلّما رجا الاستقرار النّابع من الكيان البشري و القائم على المبادئ و العلاقات الأسرية و الإنسانية جمعاء . (قطب م.، 1993 م)

خاتمة

لقد خلص البحث إلى جملة من النّتائج ؛ يمكن ذكر أهمّها فيما يلي .

1. يقوم الخطاب القرآني في آيات برّ الوالدين على نسق دلالي متكامل، تتفاعل فيه الدّلالات النّفسية والتّربوية لتحقيق مقصد الهداية و بناء الإنسان .
2. إنّ الدّلالات النّفسية لا تقتصر على التّأثير الوجداني فحسب ، بل تشمل الدّلالة العقلية والحسية والوجدانية، بما يعكس شمول الخطاب القرآني في مخاطبة الإنسان بجميع أبعاده .

3. تتدرّج الدلالات التربوية من بناء الفرد إلى إصلاح الأسرة والمجتمع، ثمّ إلى ترسيخ القيم الإنسانية العامة، مما يدلّ على وحدة المقصد التربوي في القرآن الكريم .
4. إنّ التكامل بين الدلالات النفسية والتربوية يمثل أحد أسباب استمرارية تأثير آيات برّ الوالدين، إذ يجمع الخطاب القرآني بين الإقناع العقليّ، والتأثير النفسيّ، والتّوجيه السلوكي .
5. تقدّم آيات برّ الوالدين نموذجًا تطبيقيًا للتكامل بين المقاصد النفسية والتربوية، بما يجعلها صالحة للتّوجيه في مختلف البيئات والأزمنة .
6. إنّ التّصنيف المعتمد للدلالات في هذه الدّراسة أسهم في الكشف عن أبعاد جديدة للخطاب القرآني، وأظهر الترابط بين مكوناته النفسية والتربوية في إطار مقصدي واحد .
7. إنّ القيم التي تؤسّس لها آيات برّ الوالدين تنطلق من الفطرة الإنسانية، وهو ما يفسّر عالميتها واستمرار صلاحيتها في معالجة قضايا الأسرة والعلاقات الإنسانية .

المراجع

1. أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف الطرطوشي، برّ الوالدين (الإصدار ط 1)، (تحقيق محمد بن صالح بن محمد الليبي، المحرر) اليمن: دار الحديث. (2019 م).
2. أبو حيان الأندلسي. تفسير البحر المحيط (المجلد ج 6). (الإصدار ط 1). (تحقيق عادل أحمد عبد الصّمود وآخرون . بيروت . دار الكتب العلمية . (1993 م) .
3. أبو زكريا يحيى بن شرف النووي . رياض الصّالحين . (الإصدار ط 1) . (تحقيق ماهر ياسين الفحل) . دمشق ، دار ابن كثير . (2007 م) .
4. أبو الفرج جمال الدين ابن الجوزي . البرّ و الصّلة . (الإصدار ط 1) . لبنان مؤسسة الكتب الثقافية . (1993 م)
5. أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري . الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التّأويل . (الإصدار ط 1) . (تحقيق عادل أحمد عبد الموجود و آخرين) . الرّياض . مكتبة العبيكان . (المجلد ج 3) . (1998 م) .
6. أحمد مختار عمر . علم الدلالة . القاهرة: عالم الكتب. (1998 م).
7. أسامة حامد .. منهج التربية . بيروت: مكتبة بيروت. (2001) .

8. حامد عبد السلام زهران . الصّحة النفسيّة و العلاج النفسيّ . (الإصدار ط 4) . القاهرة . عالم الكتب . (2005 م) .
9. الرّاعب الأصفهانى . مفردات ألفاظ القرآن . (الإصدار ط 4) . (تحقيق صفوان عدنان داوودي) . دمشق . دار القلم . (2009 م) .
10. سيد قطب . في ظلال القرآن (المجلد ج 7) . (الإصدار ط 32) . القاهرة . دار الشّروق . (2003 م) .
11. عبد الفتاح عاشور ، منهج القرآن في تربية المجتمع ، ط 1 ، مصر ، دار الجيل للطباعة ، 1979 م
12. علي أحمد مدكور . مناهج التربية أسسها و تطبيقاتها . (الإصدار ط 2001 م) . القاهرة . دار الفكر العربي . (2001 م) .
13. فايز الدّاية.. علم الدّلالة العربيّة النظرية و التطبيق (الإصدار ط 2). دمشق: دار الفكر. (1996 م)
14. محمد الرازي.. مفاتيح الغيب (المجلد 20). (الإصدار ط 1 ، لبنان: دار الفكر. (1981 م)
15. محمد الرازي.. مفاتيح الغيب (المجلد ج 25). (الإصدار ط 1). لبنان: دار الفكر. (1981 م)
16. محمد الطاهر ابن عاشور. (التحرير و التنوير) (المجلد ج 15). تونس: الدار التونسية للنشر. (1984).
17. محمد الطاهر بن عاشور. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام (الإصدار ط 2). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. (1967 م).
18. محمد علي التهانوي. موسوعة كشف اصطلاحات العلوم (المجلد ج 2). لبنان: دار الفكر. (2004).
19. محمد عبد الله دراز ، النّبأ العظيم . (الإصدار ط 12) . القاهرة . دار القلم . 2018 .
20. محمد قطب . منهج التّربية الإسلامية (المجلد ج 1) . (الإصدار ط 14) . القاهرة . دار الشّروق . (1993 م)
21. مصطفى ديب البغا - محي الدين ديب متو.. الواضح في علوم القرآن (الإصدار ط 2). دمشق: دار الكلم للكتاب. (1998 م)